Issn:2572-0023

تلمسان ونواحيها سنة 1785م، من خلال رحلة الرّحّالة "ديسفونتين" العلمية إلى الجزائر

د/ فاتح بلعمري
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

لقد كانت الجزائر إبّان العهد العثماني محط استقبال العديد من العلماء والرّحالة والسّاسة الأوروبيّين ورجال الدّين وحتّى العسكريّين والجغرافيّين، فدوّنوا عنها الكثير في مجالات متعدّدة، وقيّدوا ما شاهدوه من مظاهر وأحداث كلّ حسب انطباعاته وظروفه والعوامل الّتي تحكّمت فيه، وعلى سبيل الذّكر لا الحصر نذكر البعض من هؤلاء (هايدو، الأب دان، دايفيتي، دارندا، نيكولاس دي نيكولاي، دابفيل، فاي، سان سوننابولون، بيتي دولاكروا، الفارس دارفيو، دابير، بايسونال، لوجي دي تاسي، مورقن، القس راينال، الدّكتور شو، فالبير، فونتير دي بارادي، كوندا مين، تيدنا، روكفيل، بوتان، بانتي، تانفيل، كرسي، سيمون بفايفر، شالر وروزيه... وغيرهم[1]. ولعلّ من بين أهمّ الرّحّالة والمستكشفين الّذين كان لهم الدّور البالغ في الحديث عن الجزائر خلال القرن 18م، وعن العديد من مدنها وقراها ومناخها ونباتاتها ومظاهر أخرى، هو العالم والرّحّالة ديسفونتين، فالسّؤال الجدير بالطّرح في هذا هو: من يكون هذا الرّحّالة؟ كيف كانت رحلته؟ ما هي المناطق الّتي زارها وكتب عنها؟ وما الذّي ذكره عن تلمسان ونواحيها؟ وهل كانت كتابته عنها موضوعيّة أم عكس ذلك تماما؟

(1)- ناصر الدّين سعيدوني، ورقات جزائريّة دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر 2008، ص ص98-99.

1-التّعريف بالرّحّالة ديسفونتين:

هو لويش رينيه ديسفونتين Louiche Réné Desfontaines (1750م-1833م)، ولد بفرنسا من عائلة متوسّطة في نهاية قرن الأنوار، ليبيرالي، ممثّل جيّد للفكر البورجوازي، كان ينادي بنظام ملكي معتدل، وهذا الأمر عنده ضروري للتقدّم الاقتصادي [1]، وبالرّغم من أنّه كان تلميذا سيّئا حسب اعتراف معلّمه، إلّا أنّه صار عضوا في أكاديميّة العلوم الفرنسيّة وأستاذ علم النّبات في حديقة الملك Prof.de botanique au jardin du Roi. أرسل ديسفونتين إلى تونس والجزائر ما بين 1783م-1786م، وكان عمره حينها 33 سنة فقط في مهمّة استكشاف من خلال رأيه في التّاريخ الطّبيعي والنّباتي عن المنطقة، فجمع الأعشاب والنّباتات لأغراض علميّة، فضّل تونس الّتي تستقبل الأجنبي وتتعامل معه عكس الجزائر [2]. لقد أسّس ديسفونتينلمشروع التجوال في البربريّة، وتحدّث عن مشروعه في بداية كتابه المعنون تحت: Fragment d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger fait de 1783.

ولعلّ من بين أهمّ الرّحّالين العلميّين الّذين زاروا الجزائر ودوّنوا عنها معلومات في غاية الأهميّة هو الرّحّالة الإنجليزي شو الّذي دامت رحلته اثنتي عشرة سنة درس خلالها العديدمن المظاهر والحوادث والوقائع [3]، كما استعمل كتب رحّالة سبقوه إلى المنطقة من أمثال الفرنسي دي تاسي [4]، الّذي اعتمد عليه كثيرا.

كما أنّ الرّحّالة الفرنسي جين أندري بايسونال كان له الدّور الفعّال والسّبق أيضا إلى الجزائر، حيث زار العديد من مناطقها وقراها ومدنها خصوصا النّاحية الشّرقيّة [5]، لكنّ ديسفونتين

(1)- عز الدّين بومزو، الضّبّاط الفرنسيّون الإداريّون في إقليم الشّرق الجزائري (ارنست مرسييه نموذجا)، مذكّرة شهادة ماجستير في التّاريخ الحديث، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة منتوري، 2088/2007م، ص5.

(2)L.R.Desfontaines, le voyage botanique de Desfontaines dans les régences de Tunis et d'Alger (1783-1786), pref. De Denise Brahimi, ed. Cartage, Tunis, 2016, P13.

)3(-Thomas Shaw, travels of observations relating to several parts of barbary and the levant, Oxford, 1783, 2ed 1743, traduit français abrégée par J.Mac Carthy, Paris, 1830.

(4) - Laugier de Tassy, Histoire de Royaume d'Alger…, H.de Souzet, Amesterdam, 1725.

(5) –Jean André Peyssonnel, voyage dans les régences de Tunis et d'Alger présentation et notes, de Lucette Valensi, ed, la découverte, Paris, 1987, P19.

عالم النّبات والأعشاب الفرنسي كان له الأثر البارز هو الآخر في تدوين ما شاهده عن المنطقة الغربيّة من الجزائر عام 1785م.

1- ملاحظات حول الكتاب "الرّحلة":

يبدو أنّ رحلة ديسفونتين طبعت عدّة مرّات، آخرها سنة 2016م، وهذه الطّبعة، احتوت على 179 صفحة، أضيف لها، "Le voyage botanique" بتقديم دونيز براهيمي، يتحدّث فيها الرّحالةعن تونس من حيث سكّانها، حكومتها، تجارتها، عادات وتقاليد أهلها، مناخها وإنتاجها الطّبيعي، من تونس إلى قفصة ووسط الجريد، من تونس إلى صفاقس بالإضافة إلى عدّة مدن منها بنزرت وزغوان...

أمّا فيما يخصّ الجزائر فقد تحدّث عن العديد من المدن والقرى... ولعلّ أهمّها ما ذكره كعناوين في فهرس الكتاب وهو: مدينة الجزائر، معسكر، تلمسان، قسنطينة وبونة.

ولقد كان حضور المنطقة الغربيّة من الجزائر في رحلة ديسفونتين متميّزا فقد دوّن العديد من مشاهده وآرائه العلميّة على مدينة تلمسان ونواحيها من أفريل إلى جويلية من سنة 1785م.

وحسبنا هنا ما قمنا بترجمته، (وللتّذكير فقط لا يتّسع المجال لكلّ ما ذكره عن المنطقة الغربيّة في هذه المقالة مثل الشّلف، أرزيو، مستغانم، مليانة، معسكر، بالإضافة إلى القبائل والدّواوير والمظاهر الطّبيعيّة... وغيرها).

2- تلمسان ونواحيها سنة 1785م:

مدينة تلمسان أقيمت على منحدر جبل وفي قدمه، وهي مقسّمة إلى أربعة أحياء، الأوّل الّذي من خلاله دخلناها يسمّى زيدان، لديه باب دائري صلب بني بحجارة كبيرة مربّعة، وهو مستطيل، نخرج من هذا الحي الأوّل نرى مسجدا قديما في السّاحة وفي قاعدته حجارة كبيرة مصقولة، الحي الثّاني سمّي عين الحوت (نافورة السّمك)، الثّالث يقع في الشّرق ويحمل اسم سيدي بوحمّادة، وهو مرابط مشهور، المسجد فيه بقي جميلا، لديه برج حصن مرتفع، وهو مؤمّن بقبّة أقيمت على ذروة، وهي عبارة عن كتلة مذهّبة، وهي تستحوذ على قيمة كبيرة.

عندماتسرّبت بجوار المسجد ودخلت إليه، المرابط قال لي: بأن أعود أدراجي [1]، تلمسان وهي الحي الرّابع، كبيرة وهامّة، تمّ اقتيادنا إلى منزل القائد، وهو تركي معتوه (أبله)، أين نقيم ونسكن، الباي سلّمنا رسائل له [2]، وهنا ظهر لنا تهديد مشترك نحونا يجب علاجه.

يوجد في نواحي ترومسان، أو بالأحرى تلمسان [3] حدائق مغروسة بأشجار جميلة للفواكه، الجبال المجاورة ذات أحجار كلسيّة، الماء الجاري بوفرة هو للسّقي ولجعلها خصبة، خلف المدينة توجد جبال كبيرة ذات ثلاث طبقات الواحدة فوق الأخرى، الأولى هي في الهضبة (الأعلى) بها صخور عارية متقطّعة،ومنها تسقط شلّالات العديد من الجداول الّتي تجري في الأسفل على مساحات مخضرّة، وهي مزدانة بالعديد من الورود.النّبات هنا موجود بقوّة (بكثرة)، قاعدة الجبال والسّهل مغطّاة بأشجار زيتون قديمة وبالية، وكلّ البلاد ستصير عارية (جرداء) لأنّ السّكّان لا يغرسون الأشجار.

في جنوب المدينة يوجد وادي صغير والّذي أحبّ أن أراه... حواف الجبال مشكّلة بواسطة صخور، قممها عالية، وجنباتها مغطّاة هي الأخرى بأشجار مغروسة جذورها في الشّقوق وهي تعطي ميلادا لعدّة جداول تسقط كشلّالات وهي تلقى عموديا على ارتفاع أكثر من مائة قدم.

هناك مساحة عريضة بقيت حرّة ما بين عمود الماء والجبل وهي مملوءة بالطّحالب، وعمق الوادي فيه عدّة أشجار منها: الكرز، شجر الجوز، وأشجار الصّفصاف الّتي تنصبّ عالية وتحدث ظلّا منيعا لأشعّة الشّمس.

---

(1)- الحقيقة أنّ وليام شالر يعترف بأنّ المسيحي غير مسموح له بالدّخول إلى المسجد، ولعلّ في هذا الشّأن فقه منصوص عنه. وليام شالر، مذكّرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816م-1824م)، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1982، ص98، لكن الملاحظ أنّ العديد من مصادر الرّحلة من أسهب في وصف المساجد والمزارات من الدّاخل.

(2)- لقد استعمل الرّحّالة في تسليم الرّسائل من السّلطة الحاكمة في مدينة الجزائر إلى بايالتها شرقا وغربا، وهذا ما لمسناه في رحلة: ج.أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدّين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008، ص78.

(3)- ياقوت الحموي، بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة، مدينة بالمغرب، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، إحداهما قديمة والأخرى حديثة. إسماعيل العربي، المدن المغربيّة، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1983م، ص135.

في الجهة المقابلة، نحو مصب الوادي، نبصر في مكان بعيد هضابا وجبالا والّتي تكوّن تناغما رائعا، مع جمال الخصوبة في هذا المكان.

هناك أيضا جبال مجاورة تخرج ينابيع غزيرة للماء، وهو شفاف مثل البلور، هذه الينابيع تشكّل نهرا يجري(يسري) بين الأشجار المثمرة ويتفرّع في عدّة قنوات، وبالقرب من الوادي تشكّلت جزيرة فاتنة (وساحرة) مغروسة بأشجار رائعة ومن خلالها نتنفّس هواء نقيّا.

تسقط الينابيع على شكل شلّالات، وتارة على شكل طبقات، الوادي مملوء بنوع من طيور العندليب، وعصافير أخرى في الحقول، تراها في الأيام الجميلة، بينما قمم الصّخور فهي مخصّصة لمسكن الصّقور والطّيور الجارحة، والّتي تبحث عن فريستها وطعمها، تراها تحلّق في أعالي السّماء.

كلّ الصّخور كلسيّة، تتكوّنمن طبقات أفقيّة سميكة قليلا...نمشي (نسير) في حدود ساعة نحو الغرب، حتّى نصل إلى عين (نافورة) متقطّعة إلّا في فصل الصّيف، وهي ترمي الماء في حدود طول الرّجل، هذه العين تسمّى عين عطار HATTAR وهي تحدث صوتا مرتفعا، العرب يروون عنها ألف حكاية مضحكة، وعن هذا الموضوع مثلا، امرأة تصل إلى مصبّها، المياه تخرج على الحقل، تسري وتتوقّف ثلاث مرّات في 24 ساعة، لكن عندما زرتها وجدتها غير متقطّعة.

لم أر في حياتي بلدا مسقيّا، مثلما هو الحال في تلمسان، السّكّان يعدّون في حدود مائتي نافورة في المكان بحدود فرسخين طولا [1]. النّباتات والأشجار تعانق بعضها البعض بقوّة، المياهالموجودة في المكان جعلت الجو لطيفا، ودرجة الحرارة مقبولة، وهنا نتنفّس هواء منعشا، المنظر هنا جميل جدّ.

وجدت نباتات كثيرة رائعة، منها نبتة ذات أوراق ملتوية...، الجبال تشارك جمال المناخ، بالرّغم من البؤس الّذي يعانيه السّكّان من طرف الأتراك، إلّا أنّني رأيت رجالا أنيقين، وسحنات

(1)- الاعتراف بوجود الخصوبة، المياه، النّباتات والأشجار المتنوّعة في تلمسان دليل على أهميّة الموقع ومكانته. ولذلك سمّيت بأرض البساتين في العهد الروماني، ع. العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزّياني، ج2، موفم للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2002، ص94.

وجوههم جميلة وواضحة أحسن من كلّ ما هو في بربارِيا. البلاد خصبة جدّا والجزائريّين غير قلقين لزيارة الأجانب (المسيحيّين) أو من أي مشروع قد يتحوّل إلى غزو [1].

تلمسان تقع في حدود أربعة عشر فرسخا على البحر، بالإضافة إلى الآثار الرّومانيّة والّتي نرى الكثير منها [2]، هذه البلاد كانت في الماضي مستقلّة، الأتراك يقومون بغزو كل المنازل والدّور.

هناك على مسافة ربع فرسخ من على المدينة، وعلى يمينها، سياج كبير مربّع، وهو عمل الموريّين، في نفس المكان نرى حوض ماء كبير مربّع، وهو قوي وقديم وجدرانه مرتفعة، أقيم (أنشأ) بحجارة مصقولة جيّدا، يبدو أنّه خزّان ماء.

لم أكتشف في ترومسان أي تسجيل (كتابة)، وبعض المعلومات الّتي أردت أن أجدها، صادفت مرّة مداليات وهي خمسة أو ستّة من البرونز، لكنّها زالت معالمها، وصارت غير مقروءة، وبالتّالي فهي لا تشترى.

نجد في ضواحي المدينة كثيرا من مسحوق البارود، يستعمل في المدافع (ذخيرة المدافع)، البارود هنا بضاعة مهرّبة نحو مدينة الجزائر، وبالتّالي فصاحبه معرّض للأخطار، في حالة البيع أو الشّراء، سواء للعرب أو للموريّين [3].

(1)- يبدو هذا رأي المؤلّف فقط، لكن يتّضح من خلال ما حدث أنّ الجزائريّين كانوا فعلا قلقين لزيارة الأجانب ومتخوّفين من المشاريع الاستعماريّة ولعلّ أصدق إجابة على رأي هذا العالم ما ألّفه: "ابن رقيّة الجديري التّلمساني، الزّهرة النيّرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة، نشر بابا عمر سليم، مجلّة تاريخ وحضارة المغرب، العدد3، 1967م، ص ص2-32. وناصر سعيدوني، من التّراث التّاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرّخين ورحّالة وجغرافيّين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ص ص425-431.

(2)- لعلّنا نكون صائبين حينما نذكر ما سجّله ابن حوقل النّصيبي في تأليفه عن تلمسان، ويسمّيها تنمسان، "**هي مدينة أزليّة، ولها أنهار جاريّة، وأرحية عليها وفواكه، ولها سور من أجر حصين منيع، وزرعها سقي وغلّاتها عظيمة ومزارعها كثيرة**"، ابن حوقل النّصيبي، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص68.

(3)- من المناطق الّتي كانت تزوّد المؤسّسات العسكريّة بالبارود، ضواحي تلمسان ويعتبر العمل في هذا الشّأن من المظاهر الكبرى الّتي تعرّض صاحبها للعقوبات.

طلبت من القائد دليل يرافقني إلى جبال بعيدة في الجنوب، أعطاني شيخ عربي يتحكّم في مقاطعة واسعة [1]، صعدت إلى أعلى الجبال وخيّمت لمدّة ثمانيّة أيّام، وهناك وجدت نباتات كثيرة نادرة، منها البيراتر "Pyrethre"... جذورها لها عدّة استعمالات، نأكلها مثل التّتبيل لأجل إثارة العرق، وهي عادة ما تستعمل في الحمّام، وهي تعطي الجسم حرارة كبيرة حتّى يتنفّس، العرب يجمعونها لأجل بيعها.

سمعنا ولمرّات عديدة أثناء اللّيل زئير الأسود، هذه الحيوانات المفترسة، وأثناء إقامتنا أكلت حمارا في دوّار مجاور لنا، العرب يأخذون (يصطادون) الأسود بطرق عدّة، مرّات يقومون بحفر حفرة عميقة ويغطّونها بالعلّيق، وفي وسطها يربطون معزة أو خروفا، وعندما يأتي الأسد لكي يسدّ جوعه يسقط في الحفرة، وفيما بعد يقتل بطلقة بندقيّة، لكن غالبا ما يأخذون (يصطادون) الصّغار.

الطّريقة الأكثر تكرارا هي حمل خروف في منطقة تكثر فيها الأسود، والصّيّاد يختبأ في دغل، ويرمي طلقة بندقيّة على الأسد الّذي يأتي لأجل أكل الخروف، هذا الصّيد خطير جدّا، لأنّ الأسد إذا جرح فقط فإنّه يفترس الصّيّاد.

العرب يقولون بأنّ الأسد لا يهاجم أبدا النّساء [2]، لأنّه يرحم ضعفهم، كما أنّ الأسد لا يرتمي على الرّجال إلّا إذا كان مدفوعا بالجوع... رأيت في جبال ترومسان رجلا قتل بطلقات بندقيّته خمسة عشر أسدا وثلاثة فهود.

هذه الحيوانات تنام في النّهار في الأدغال الأكثر كثافة، وتخرج من عرينها في اللّيل، وإذا كان الأسد جائعا، فإنّه لا يخشى من أن يدخل خيم العرب بالرّغم من نباح الكلاب وصراخ الرّجال ويستولي على خروف ثمّ يهرب.

(1)- كثيرا ما استعمل الرّحّالة "أدلاء" يرافقوهم في مهامهم، وذلك بغرض الاستفادة من معارفهم وأفكارهم، ج.أو. هابنسترايت، المصدر السّابق، ص54.

(2)- يبدو أنّ هذا الأمر فيه مبالغة !!...

عندما ذهبت للبحث عن الأعشاب والنّباتات، تسلّحت ببندقيّة مملوءة بالطّلقات، ورافقتني مجموعة من الأفراد مسلّحين جيّدا أيضا، لم أصادف إطلاقا أسدا، النّمر مخيف للغاية، يجثم خلف العلّيق، ويندفع بسرعة مذهلة بسبب جوعه نحو فريسته، ولقد رأيت رجلا تعطّلت أحد أعضائه بضربة مخلب على كتفه.

الجبال خلف ترومسان تسمّى مفرش، وهي بعيدة جدّا، والذّي ذهبت إليه مؤخّرا يسمّى جبل تاردي، هذه الجبال مملوءة بالأودية الخلّابة والمروج الرّائعة والخصبة، أين العرب يرعون قطعانهم.

أثناء تواجدي في تلمسان، كانت لي الفرصة أن أرى ثعبانا، وهو المسمّى زورق، لكن من المستحيل الإمساك به، وهو يشبه تقريبا الثّعبان الذّي يعيش عندنا، لكن لونه مختلف قليلا، أبصرت واحدا تحت الحجارة قد اختفى، رفعت الحجرة، وفي نفس الأثناء خرج بسرعة فائقة ومرّ على مسافة 12 أو 15 خطوة دون أن نراه، وكنت فضوليا ومحترسا كيف أمسك به، إنّه بسرعة مذهلة، والعرب يؤكّدون بأنّ لسعة هذا الثّعبان تؤدّي إلى الوفاة بعد ساعات قليلة.

بعد حملي لعدّة نباتات وأعشاب مثلما كنت أتمنّى في الجبال، عدت أدراجي إلى ترومسان حتّى أسمع الجديد من الباي، والّذي طلب منّي بأن لا أنظمّ إلى المعسكر حتّى أرى تفاصيل معركة والّتي ستحدث بينه وبين العرب الّذين يسمّون لانقيتLanguets ويضعنون على حدود المغرب الأقصى في الجنوب الشّرقي من جبال ترارة Trara.

بقيت يومين بعيدا عن تلمسان، وبعدها تقدّمت ودخلت المعسكر (المدينة)، فوجدت أسيرا فرنسيّا فقيرا [1]، والّذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وكان غير معروف، لم يتعرّض للافتداء وإطلاق سراحه، ترجّاني لأجل مساعدته والحصول على حريّته، فكتبت للقنصل لأجل افتدائه، فأفاض عليّ هذا الأسير بالبركة للخدمة الّتي سأقدّمها له.

(1)- أسيرا فرنسيّا فقيرا وأمّيا، يتّضح أنّ السّلطة التّركيّة في الجزائر، كانت تبحث عن الفرنسيّين لكن الّذين يعرفون القراءة والكتابة يرتقون إلى مناصب عليا وهذا ما حصل لتيدنا. أحميدة عميراوي، الجزائر في أدبيّات الرّحلة والأسر، مذكّرات تيدناانموذجا.

بجانب الآثارالقويّة والممتدّة، توجد عدّة ينابيع الّتي نتجت من الجبال، وجدول ماء مالح (وسخ)، هذه الجبال في حدودها مغطّاة بتربة حمراء، والّتي تحتوي على الكثير من الحديد [1]، كما وجدت بها حجارة تشبه ما هو موجود في فلورنسا Florence.

ذهبنا إلى أرزيو [2]، تقع في الشّمال الشّرقي عن هذا المكان، قريبا من رأس الرّومي بعد سير حوالي خمس أو ست ساعات في السّهل الّذي ذكرت. وصلنا إلى غابة أين سرنا أربع ساعات، هذه الغابة مغروسة بالزّيتون البرّي والعلّيق.

خليج أرزيو يبدأ من رأس فرات إلى غاية شمال مستغانم [3]، هو عميق، شكله تقريبا دائري، الميناء الّذي هو أسفل فرات جهة الجنوب، آمن ومريح، وجدته السّفن مكان آمن للإرساء، وكلّ الرّؤساء البحريّين ينظرون إليه على أنّه أحسن الموانئ في كامل بربارية، رأس فرات يحميه من رياح الشّمال، وكذلك من الرّياح الأخرى لا توجد مساكن في هذا المكان.

حكومة الجزائر أنشأت فيه قائدا ليترأّسه لشحن مختلف الحبوب الموجودة هناك، والّتي تنقل على ظهور الجمال وهو الصّلة في الجهة الغربيّة والّتي فيها يتمّ التّحميل (الشّحن) أكثر، والسّفن ترسو فيه بأمان.

4/ استنتاجات خاصّة: أهميّة رحلة ديسفونتينالعلميّة، تبيّن لنا ما يلي:

- موقع مدينة تلمسان.
- أحياء مدينة تلمسان (4 أحياء).
- وجود ضريح مرابط مشهور، (سيدي بوحمّادة).
- مقت القائد التّركي المقيم في تلمسان ونعته بالمعتوه (الأبله).

---

(1)- معدن الحديد، تبيّن فعلا حسب خريطة الجزائر -المعادن والطّاقة- أنّ الحديد موجود فعلا شمال تلمسان. الأطلس العالمي، المعهد التّربوي الوطني، الجزائر، د.ت. ص27.

(2)-أرزيو، اليوم هي ميناء مهم تابع لوهران.

(3)-مستغانم: مدينة مستغانم من مدن الجزائر القديمة والّتي تتمتّع بموقع ممتاز على ساحل البحر المتوسّط، في الغرب الوهراني وتشتهر بمينائها البحري الهادئ الّذي ترد إليه الأساطيل البحريّة من كلّ جهة داخل البلد وخارجه.

يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التّاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، طبعة خاصّة، دار البصائر للنّشر والتّوزيع، 2009، ص183.

– ظاهرة تسليم الرّسائل من السّلطة الحاكمة إلى البايات وقادة المقاطعات بواسطة الرّحّالة ولعلّها. توصياتبالحماية والتّذكير بالمساعدة في أداء المهام.

– وصف ضواحي تلمسان (الحدائق، أشجار الفواكه، الجبال وتكوينها، وفرة المياه، وجود الصّخور العالية، ذكر الشّلّالات والجداول المائيّة، وجود الورود والنّباتات بكثرة...

– جنوب المدينة بها مناظر طبيعيّة خلّابة سحرت الرّحّالة ديسفونتين.

– أنواع الطّيور الموجودة في المنطقة (العندليب، الصّقر، طيور جارحة...).

– "عين عطّار" وروايات العرب الخرافيّة عليها وتعليق ديسفونتين العلمي على تلك الرّوايات.

– اعتراف ديسفونتين بجمال طبيعة تلمسان وخصوبتها وهوائها النّقي والمنعش في عدّة جهات.

– بؤس السّكّان ومعاناتهم من ظلم وجبروت الأتراك.

– اعتراف ديسفونتين بأناقة وجمال سكّان تلمسان (أحسن من كلّ ما رأى في بربارية).

– كثرة الآثار الرّومانيّة.

– غزوات الأتراك لمنطقة تلمسان (لعلّها المحلّات) لجمع الضّرائب والغرامات.

– وجود مسحوق البارود في ضواحي تلمسان وهو الذّي يشحن إلى العاصمة والتّجارة فيه خطيرة جدّا.

– الاستئناس بخبرات الشّيوخ وطلب رفقتهم في الأماكن البعيدة، مع وجود جندي أو جنديين.

– نبات البيراتر له عدّة استعمالات منها العمل على تعرّق الإنسان، والعرب يجمعونه ويبيعونه.

– كيفيّة اصطياد الأسود.

– جبال مفرش وجبل تاردي خلف تلمسان، من المظاهر الطّبيعيّة الرّائعة، بها يقيم بعض العرب.

– وجود الثّعابين الخطرة جدّا منها المسمّى زورق، لسعة هذا الثّعبان تؤدّي إلى الوفاة بعد ساعات قليلة.

– معركة بين قائد تلمسان وعرب "لانقيت" على حدود المغرب الأقصى (جنوب شرق جبال ترارة).

– وجود أسرى، منهم فرنسي فقير "أمّي"، ترجّى ديسفونتين على أن يساعده في قضيّة افتدائه.

– وجود معدن الحديد في ضواحي تلمسان (تربة حمراء).

– قدّم معلومات مهمّة عن خليج أرزيو وأهميّته بالنّسبة لحكومة الجزائر، (شحن الحبوب).

– يبدو أنّ تكوينه العلمي سيطر على آرائه وملاحظاته، ما عدا كرهه ومقته للأتراك بدا واضحا.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

مرتّبة حسب ورودها في المقال.

- ناصر الدّين سعيدوني، ورقات جزائريّة دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008.
- عز الدّين بومزو، الضّبّاط الفرنسيّون الإداريّون في إقليم الشّرق الجزائري (ارنست مرسييه نموذجا)، شهادة ماجستير في التّاريخ الحديث، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.
- L.R.Desfontaines, le voyage botanique de Desfontaines dans les régences de Tunis et d'Alger (1783-1786), Préf.de Denise Brahimi, ed, Cartage, Tunis, 2016.
- Thomas Shaw, travels of observations relating to several parts of barbary and the levant, Oxford, 1738, 2ed 1743, trad. Française abrégée par J.M.MacCarthy, paris, 1830.
- Laugier de Tassy, Histoire de Royaume d'Alger, H.De.Souzet, Amsterdam, 1725.
- وليام شالر، مذكّرات شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816م–1824م)، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1982م.
- ج.أو.هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدّين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008.
- إسماعيل العربي، المدن المغربيّة، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1983م.
- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزّياني، ج1، موفم للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2002.

- ابن رقيّة الجديري التّلمساني، الزّهرة النّيّرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، نشر بابا عمر سليم، مجلّة تاريخ وحضارة المغرب، العدد3، 1967م.
- ناصر الدّين سعيدوني، من التّراث التّاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم مؤرّخين ورحّالة وجغرافيّين)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.
- ابن حوقل النّصيبي، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- أحميدة عميراوي، الجزائر في أدبيّات الرّحلة والأسر خلال العهد العثماني، مذكّرات تيدناانموذجا، دار الهدى، الجزائر، 2003.
- الأطلس العالمي، المعهد التّربوي الوطني، الجزائر، د.ت.
- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التّاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، طبعة خاصّة، دار البصائر للنّشر والتّوزيع، 2009.
- J.A.Peyssonnel , voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, présentation et notes de Lucette Valensi, ed, la découverte, Paris, 1987.